مفهوم التعصب الديني وطرق علاجه في السنة النبوية

د. إسماعيل عبد الله*
د. أحمد المجتبى بانقا**

تمهيد

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين احتكاكاً ثقافياً وتواصلاً حضارياً متزايداً بين سكان المعمورة بفضل تقنيات الاتصال الحديثة. والتي وفرت بدورها تواصلاً سياسياً واجتماعياً وتجارياً وإعلامياً. جعل من العالم قرية كونية (Global Village) ضمت في أحشائها أجناساً من ذوي أديان وثقافات وأعراق مختلفة.

وبما أن أمزجة الناس ومشاربهم وطبائعهم وعاداتهم وثقافاتهم ومعتقداهم مختلفة، فإنّ هذا التقارب الكوني في سبل تحقيق رفاهية الناس وإسعاد البشرية، لا بد له من صهر تلك البشرية بمختلف أعراقها وأجناسها في بوتقة ترضي طموح الجميع وتلبي حاجيات البشر. وهذا بدوره تحدٍ كبير تعتريه عقبة كأداء في سبيل التواصل الحضاري، والتي كان منها ظاهرة التعصب الديني[1] التي تمثل إحدى معكرات صفو هذا التواصل الحضاري والتعايش السلمي بين الشعوب. ومن هنا أضحت ظاهرة التعصب الديني وطرق علاجها من القضايا التي شغلت العلماء والإصلاحيين وغيرهم، سيما بعد الحادي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد، والتي ألصقت بثوب الإسلام، مع أن ظاهرة التعصب الديني ظاهرة كونية لا تختص بأمّة معينة، بل عرفتها الأمم والشعوب قديماً وحديثاً. إلا أن طريقة علاجها تنوعت واختلفت من أمة إلى أخرى، ومن دولة إلى أخرى. فمن رأى علاج العنف والتطرف الديني بالقوة والقمع والطرق العسكرية[2]، ومن رأى معالجة التطرف الديني عبر الوسائل السلمية، باعتقاد أصحابها أن العنف لا يُوَلِّدُ إلا العنف ونتيجته الدمار[3]. ويرى أصحاب الإتجاه

---

* أستاذ مشارك فى قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

** أستاذ مساعد فى قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

[1] التعصب نوعان محمود وهو ما يمثل جانب التمسك بالدين الإسلامي ومنهج الكتاب والسنة، ومذموم المقصود منه في هذا البحث هو التطرف والإرهاب الذي سلكه بعض المسلمين باسم الدين، وعلى ضوئه شرعوا في قتل الناس وترهيبهم، والعصبية في الأصل دعوة الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين، انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د.ت) ج1، ص602.

[2] انتقد بعض المحللين والمفكرين خطوات الإدارة الأمريكية بقيادة جورج بوش وكذلك رئيس الوزراء البريطاني توني بلير في طريقة معالجتهما لقضايا الإرهاب وخاصة بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر عام ألفين وواحد، التي تتصف بالحرب والعنف، واتهموهما بأنهما تجاهلا دراسة الأسباب الفكرية والاجتماعية للإرهاب، مقترحين معالجتها بطرق مدنية وفكرية ودبلوماسية. وحسب رأينا قد يكون ذلك صحيحاً وخاصة إذا نظرنا إلى ما نتج عنها من الحروب التي شنتها الولايات الأمريكية المتحدة والمملكة المتحدة على ما سموه بالإرهاب في أفغانستان والعراق، إذ أن هذه الحرب ضاعفت حجم العمليات الإرهابية في العالم مقارنة بما قبلها.

[3] هذا الرأي تبنته شريحة واسعة من المفكرين والسياسيين والحكومات في العالم، ونادوا بضرورة معالجة التطرف بأنواعه بالطرق السلمية والفكرية والتربوية والاجتماعية. فالإسلام تبنى مواقف حاسمة ضد التعصب بأنواعه الإجتماعية منها والفكرية وهو ما سنقوم بتقديمه في السطور التالية.

الثاني أنّ معالجة التعصب مهما كان نوعه عن طريق السبل الفكرية والعقدية والاجتماعية، دون اللجوء إلى القمع والتهديد، ذلك هو الطريق الأمثل والحل الأفضل.

وبما أننا في هذه الأوراق بصدد عرض التجربة الإسلامية لمعالجة التعصب والتطرف الديني وخاصة في العصر النبوي، فبجانب الحديث عن طرق ووسائل علاج التعصب الديني في العصر النبوي، سوف نتعرض إلى توضيح مفهوم التعصب الديني من خلال دلالاته اللغوية والاصطلاحية، ومن خلال الاستعمالات القرآنية له. فهو أمر مهم للغاية-في تقديرنا لما يجري في الساحة السياسية والفكرية في عصرنا الحاضر من سوء استخدام للمصطلح وسوء استغلال له، مما أدى إلى خلطه بمفاهيم آخرى: كـ"التمسك بالدين" أو "الالتزام بالدين"، علماً أن معنى التعصب بالدين[4] يحمل دلالات تقترب من "الغلو في الدين"[5] أو "التطرف الديني" وفي ذات المساق يحمل مدلولات تفيد الإستقامة والتمسك بالدين وتطبيقه والالتزام به، وهو معنى مغايرٌ للمعنى الأول.

بناءً على ذلك فالبحث معني بتأطير محتوى التعصب الديني بالبحث: في المفهوم والأهداف والدوافع السياسية والاجتماعية، والفكرية، والاقتصادية. ومن ثم تأطير طرق علاج التعصب الديني. عن طريق تعميق التربية الإسلامية في المجتمع المسلم، والمناصحة والمجادلة بالحسنى، وإظهار سماحة الإسلام. بضرب نماذج من تعامله ﷺ مع التعصب الديني مع سائر ألوان الطيف البشري. عليه فقد أضحى البحث يجمع بين التنظير والتطبيق باعتبار أنّ الإسلام في قواعده وتطبيقاته أولى قضايا التعصب مساحة واسعة باعتبار معالجتها جوهرًا أساسًا في البناء الأممي، كما سيتبين ذلك من خلال الدراسة إن شاء الله.

التعصب الديني؛ المحتوى والمفهوم:

تناولت قواميس اللغة كلمة التعصب أو العصبية بتعابير مختلفة، ومع كثرة هذه التعاريف إلا أنها تدور حول معاني متقاربة، أهمها كما أورد ابن منظور في لسان العرب تعني: "وهي أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، قد تعصبوا عليهم إذا تجمعوا على فريق آخر، قيل: تعصبوا، وفي الحديث: العصبي من يعين قومه على الظلم"[6]. وفي الاستعمال اللغوي تفيد الكلمة، ميل الإنسان أو الشخص وارتباطه الوثيق بعصبته، كما يعني الاستعمال الغالب للكلمة ومفهومها الاصطلاحي؛ الاعتزاز بالأنساب والقرابة، إذ العصبية تعني دعوة الرجل عصبته إلى الانتصار له. أما العصبي فهو: الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم. والعصبة الأقارب من جهة الأب[7]، لأنهم يعصبونه ويتعصب بهم أي يحيطون به، ويشتد بهم، والعصبية والتعصب المحاماة والمدافعة، وبالتالي فالعصبي هو

---

[4] الغلو في عقيدة أو فكرة أو مذهب أو غيره يختص به دين أو جماعة أو حزب: أنظر: الشبل، علي بن عبد العزيز، **الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف** (د.ت، د.ط) ص9.

[5] الإفراط في مجاوزة المقدار المُعتبر شرعاً في أمرٍ من أمور الدين ـ انظر: الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، تحقيق: د. محمد جبر الألفي (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 1399هـ) ص140

[6] الحديث أخرجه أبو داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، د.ت، د.ط) باب: في العصبية، ج4، ص331. سنده ضعيف وله طرق تقويه وهو: من حديث وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعَصَبِيَّةُ؟ قَالَ: أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ" - انظر: **لسان العرب**، مصدر سابق، ج1، ص606.

[7] الجرجاني: علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق : إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ) ص195.

من يعين قومه على الظلم، أو من يحامي عن عصبته ويغضب لهم، والعصبة هي المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره أو تلزمه لغرض[8]. وإذا كان التعصب في القديم يفيد الإرتباط الوثيق بالعرق أو القرابة، فإنه بجانب ذلك المعنى يفيد أيضاً في العصر الحديث معانٍ عدة، كالتحزّب والانحياز إلى شيء من الأشياء: إلى مبدأ أو معتقد أو شخص أو إلى بلد ما أو إلى قضية ما، ولذلك كثيراً ما نسمع: التعصب الديني، التعصب الطائفي أو التعصب القومي، وما إلى ذلك من التعابير التي تفيد التحيز والميل الشديد إلى شيء ما، إذ التعصب في هذه الحالة يعني: "الانحياز أو التحزب[9] إلى شيء من الأشياء: فكرة أو مبدأ أو معتقد أو شخص إما "مع" أو "ضد". والتعصب للشيء هو مساندته وموازرته والدفاع عنه، والتعصب ضد الشيء هو مقاومته"[10]. وللتعصب أنواع وأشكال متنوعة، فهناك التعصب المذهبي الفرعي وهو التعصب إلى حزب ديني أو مذهب من المذاهب الفكرية أو الفقهية لدين مّا، سواء كان في الديانات السماوية أو غيرها، حيث يؤمن المتعصب ضرورة تقليد مذهب فكريٍ مّا وتبني أرائه[11].وهناك الغلو الفكري أو التطرف العقدي وهو الغلو في مسائل الاعتقاد، كتأليه شخص مّا مثل ما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام، وكالغلو في مسائل الولاء والبراء[12]، وادعاء العصمة للعلماء، أو التطرف في البراءة من المجتمع العاصي، ومثل الغلو في التكفير، كالتكفير بالمعصية. وهناك الغلو أو التطرف العبادي أو العملي، وهو التطرف في أداء العبادات، أو الغلو في فعل شيء طلباً للأجر والثواب من الله تعالى، وهذا أشهر ما عرف عن وضاع الحديث الشريف. وسنورد أمثلة لهذا لاحقاً إن شاء الله تعالى.

---

[8] ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م) ج3، ص245. وأيضاً: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية** (القاهرة: دار الدعوة، د.ت، د.ط) ج2، ص626.

[9] قال ابن القيم: "وهل تقطعت الأمة أمرها بينها زبراً وصار كل حزب بما لديهم فرحون إلا بهذا السبب فكل طائفة تدعو إلى متبوعها وتنأى عن غيره وتنهى عنه وذلك مفض إلى التفريق بين الأمة وجعل دين الله تابعا للتشهي والأغراض وعرضة للاضطراب والاختلاف وهذا كله يدل على أن التقليد ليس من عند الله للاختلاف الكثير الذي فيه "- ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (بيروت: دار الجيل، 1973م) ج2، ص275

[10] حسن حنفي، **أضواء على التعصب**، (بيروت: دار أمواج، د. ت) ص175.

[11] مثل ما نقل عن بعض مقلدي المذاهب الفقهية للدين الإسلامي- قد بلغ جهل التقليد بالمقلدين حداً بعيداً في الفرقة والحروب والتنابز والتناحر- بقول بعضهم وهو يرى ضرورة تقليد أبى حنيفة دون غيره من الأئمة والفقهاء: "فلعنة ربنا أعداد رمل على من رد قول أبى حنيفة"، وقال آخر يرى أفضلية أراء الإمام مالك على غيره من الفقهاء: "ومالك المرتضى لا شك أفضلهم إمام دار الهدى والوحي والسنة". كما أوصى آخر حنبلي الأمة بأجمعها أن يتحنبلوا جميعاً، قائلاً: "أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا". محمد بن إسماعيل الصنعاني، **إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد**، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد (الكويت: الدار السلفية، 1405هـ) ج1، ص17.

[12] انبنت قضايا التطرف والإرهاب بشكل أساس على الفهم الخاطئ لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام، الذي قام أساساً لترسيخ مبدأ العدالة في البراءة والموالاة وفقاً لمصلحة الشريعة التي ارتسمت أمر الولاء والبراء ليتناسق مع سماحة ووسطية وعدل ورحمة الإسلام بين الناس حكاماً ومحكومين- أنظر: السيد الفراتي: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** (حلب: المطبعة العصرية، د.ت) ص179.

وبناءً على هذه الدلالات اللغوية والاصطلاحية، فالتعصب الديني له معنيان معنى محمود وهو التعصب للحق والتزامه والدفاع عنه ويمتثل له بقوله (ﷺ): "..فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"[13]، وتعصب مذموم وهو الذي نحن بصدده هنا، وهو ذلك الحماس الشديد والغيرة المتطرفة التي يصاحبها العنف والغلظة والاعتداء على الآخر[14]؛ حيث يفقد المتعصب توازنه العقلي ومنطقه المعتاد. وقد يندفع المتعصب في هذه الحالة إلى الهوى الأعمى في سبيل الدفاع أو الميل إلى مبدئه العقدي والفكري والطائفي دون مراعاة الموقف والظروف المحيطة به ودون مراعاة الغاية المنشودة اليها، ظناً منه بأنه ملك الحقيقة المطلقة التي لا يمكن العدول عنها مهما كان الأمر، مما قد يؤدي في معظم الحالات إلى نتائج عكسية لا تحمد عقباها. ولقد حارب الإسلام هذا النوع من التفكير وربى أتباعه على الإنصاف مع الآخر الذي خالفهم في الدين أو الرأي أو الفكر. وجاءت آيات كثيرة في التنزيل تحثّ الناس على الإنصاف وعدم الغلو في الدين: [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا(171)] (النساء:171) [15] وهذه الآية وإن تعلقت بأهل الكتاب إلا أنها أيضاً تحذر الأمة المسلمة من الوقوع في مثل هذا الغلو والتعصب الأعمى، دون الرجوع إلى الحق والإسترشاد بالوحي والعقل. وأيضا في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون(8)] (المائدة: 8) .

لقد تنزلت تلك الآيات ذوات العدد في إنصاف يهودي، من خطأ العصبية الجاهلية التي بدرت من بعض مجتمع المؤمنين في حياة النبي (ﷺ)[16]. قال الشيخ وهبة الزحيلي في تفسيره لهذه الآية: "ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم على

---

[13] الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ج5، ص44.

[14] تعود بدايات التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي إلى الخلافات السياسية والفكرية -الأصولية والفقهية- التي حدثت بين المسلمين خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، مما أدى إلى ظهور فرق وطوائف وجماعات سياسية فكرية كالرافضة، والشيعة، والخوارج، وفرق عقدية كالمعتزلة والجهمية المعطلة والكرامية المجسمة – انظر: الدكتور خالد كبير علال، **التعصب المذهبي في التاريخ مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه** (دار المحتسب، د. ت) ص5.

[15] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية، أن الله تعالى: "ينهى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله تعالى إياه، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن أتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو إرشاداً، أو صحيحاً أو كذباً"- انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (القاهرة: دار الحديث، 1988م) ج1، ص589.

[16] يقول سيد قطب: "في الوقت الذي كانت يهود تكيد ذلك الكيد الجاهد للإسلام ونبيه، وللصف المسلم وقيادته..كان القرآن يصنع الأمة المسلمة على عين الله، فيرتفع بتصوراتها وأخلاقها، ونظامها وإجراءاتها إلى القمة..يأمر الأمة المسلمة بالأمانة المطلقة، وبالعدل المطلق بَيْنَ النَّاس .. على اختلاف أجناسهم وعقائدهم، وقومياتهم وأوطانهم..كانت الآيات ذوات العدد من القرآن تتنزل لإنصاف يهودي.. من اتهام ظالم، وجهته إليه عصبة من المسلمين من الأنصار، ممن لم ترسخ في قلوبهم هذه المبادئ السامقة بعد، ولم تخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية كل الخلوص. فدفعتهم عصبية الدم والعشيرة إلى تبرئة أحدهم باتهام هذا اليهودي! والتواطؤ على اتهامه، والشهادة ضده في حادث سرقة درع أمام النبي صلى الله عليه وسلم حتى كاد أن يقضي عليه بحد السرقة، ويبرئ الفاعل الأصلي! تنزلت هذه الآيات ذوات العدد.. إنصافاً ليهودي، من تلك الفئة التي تؤذي

ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في معاملتكم، مع كل أحد، صديقاً كان أو عدواً. وعدلكم أقرب للتقوى من تركه، أي العدل في معاملة الأعداء أقرب إلى اتقاء المعاصي على الوجه العام."[17] ويتناول الأستاذ الدكتور وهبة الدروس والأحكام المستفادة من الآية الكريمة، كما يلي:

1. وجوب القيام بكل التكاليف التي أمرنا بها الله تعالى بحسن النية والإخلاص.
2. نفاذ حكم إلتزام تطبيق العدل حتى مع الأعداء قولا وعملاً وفي أداء الشهادة، لأنه تعالى أمر بقوله: "كونوا قوامين لله" بالعدل وإن أبغضه، ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له لكان لأمره بالعدل فيه وجه.
3. إن كفر الكافر لا يمنع من العدل في معاملته، وفي الآية الآمرة بالعدل والتقوى دلالة أيضاً على أن يقتصر في المحاربة على المستحق للقتال، وأن المثلة بالأعداء غير جائزة وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وآذونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيقاع الغم والحزن بهم.
4. وجوب العدل في معاملة الناس قاطبة سواء أعداء أو أصدقاء[18].

وأيضاً في قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(87)] (المائدة: 87) [19] فالاعتداء المذكور في الآية هو تجاوز الحدود والمقاييس الدينية في التعامل مع الناس، والتفكير في القضايا الدينية والشرعية.

الفرق بين التعصب الديني والتمسك بالدين:

وهناك فرق بين التعصب الديني والالتزام به أو التمسك به، إذ الالتزام بالدين لا يعني بالضرورة إلحاق الضرر بالآخر[1]، بل يظل الإنسان متمسكاً بدينه بجانب احترامه للآخر الذي يخالفه في العقيدة، وهذا ما أشرنا إليه بالتعصب المحمود والذي يعبر عنه بالتمسك بالدين الإسلامي وتعاليمه، ذات الدين الذي دعانا لمحاربة العصبية الجاهلية التي تنتقص الآخر وتفقده كرامته التي كفلها له الخالق عز وجل [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ..(70)] (الإسراء :70) ومن هنا فإن المسلم الحقيقي كما علمنا الرسول الكريم (ﷺ) وسلم هو من سَلِمَ الناس من شره[20]، وأيضاً أنه لا إيمان ولا إسلام لمن لا يأمن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الإيذاء ، وتنصب لدعوته ، وتكيد له وللمسلمين هذا الكيد اللئيم! وفيها تهديد وإنذار لمن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرمي به بريئا. وفيها" سيد قطب إبراهيم، **فى ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، د.ت)، ج1، ص570.

[17] الزحيلي، الأستاذ الدكتور وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. بيروت: دار الفكر المعاصر، ط2، 1998)، ج5، ص0118

[18] نفس المرجع، ص120

[1] " الخير كله في التمسك بالدين الإسلامي كما جاء به الرسول والمحافظة عليه من غير تعرض للغير بمجادلة أو تقبيح أو ازدراء وهذا ليس تعصبا إنما حق يتبع قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ...(105)] انظر: عبد الله النديم، مجلة الأستاذ، **جريدةٌ علميةٌ تهذيبيةٌ فكاهيةٌ** (مصر: دار كتبخانة للنشر والتوزيع، ط1، 1985 م، صدرت في 24 أغسطس عام 1892 م، العدد39، 23-5- 1893م) ج1، ص921

[20] البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (اليمامة: بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407 – 1987م) كتاب: الإيمان، باب: الإنتهاء عن المعاصي، ج5، ص2375.

الناس من بوائقه[21]. فالالتزام أو التمسك بالدين يحمل مفهوم الاستقامة وحسن الخلق والمعاملة، وتسود فيه روح التسامح والتعايش مع الناس، كما قال تعالى لنبيه: [فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير (المائدة: 112)] [22].

ويقول الدكتور أحمد شلبي معلقاً على هذا الأمر: "إنّ الإسلام يهتم اهتماماً كبيراً بحسن المعاملة بكل ما تحتمله الكلمة من معنى، أصل من أصول الإسلام، بل أصل مهم جداً فالإسلام ينظم علاقات الإنسان بالإنسان على أسس من الحب والعدالة مع ضرورة اتباع القيم الإسلامية في البيع والشراء والميراث والزواج والطلاق والهبة وغيرها، ومع اتباع آداب الإسلام في معاملة الناس ومع الإخلاص للعمل، والتضامن في آداب الواجب، والبعد عن إيذاء الناس، كل هذا وما يماثله أجزاء مهمة من الدين الإسلامي، ولا يكمل الدين بسواها"[23]. بينما يحمل التعصب الديني – المذموم- مفهوم العنف والتطرف الذي يشعل نار الضغينة والكراهية في قلب صاحبه، والذي ينتهي في أغلب الأحيان بالدمار والفساد. ويحمل التعصب الديني بهذا المعنى مفهوماً سلبياً؛ حيث يؤدي إلى حرمان ملايين من الناس من حقوقهم الشرعية في التعبير والمعيشة والاكتساب والامتلاك. إذ العصبيات في هذا المفهوم، كما يقول الشيخ الغزالي: "لا تعرف منطق العقل المعتاد، إن العصبية حماس يشتعل وليست حقاً يضيء"[24]. ولقد نهى الإسلام أتباعه عن العصبية القومية والحزبية والعرقية الذميمة، وعلمهم أن يَزِنُوا الناس بميزان التقوى والأخلاق الحميدة، بتعقل وتدبر وإعطاء فرصة للآخر لتقديم ما لديه من قول ودليل، وعدم التسرع في الحكم عليه. وجاءت في ذلك آيات كثيرة في التنزيل مثلاً في ميزان التفاضل بين الناس، قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(13)] (الحجرات :13) فخالق الإنسان كما حددت الآية الكريمة هو الله رب العالمين، وحكمة تنوعهم وجعلهم قبائل وشعوباً مختلفة، هي للتعارف لا للتفاضل ولا للتناحر ولا لتكون سبباً للعداوة فيما بينهم. وفي الإنصاف بين الناس: [قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين(24)] (سبأ24) فهنا تشير الآية إلى ضرورة الإنصاف مع الخصم لإعطائه الفرصة لكي يراجع حساباته الفكرية ورواسبه العقدية لعله يتذكر أو يخشى. على الرغم من أن القرآن الكريم أوضح وبشكل قاطع وصارم عن وجود الله ووحدانيته، ولكنه مع ذلك قال: "وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين"، لا للتشكيك في وجوده ولا لأي شيء آخر، بل لاعطاء فرصة للآخر لكي يراجع مع نفسه في رصيده العقدي. وأيضاً قال تعالى: [أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين(64)] (النمل :64) ومسألة تقديم الدليل والبرهان مرتبطة بالتثبت من صحة الخبر وصدقه، وفحص مضامينه الروائية والمعنوية. ويمثل هذا الأمر الموضوعية المطلوبة في الخبر والأحداث، من حيث صحتها والتأكد من

---

[21] نفس المصدر، كتاب: الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج5، ص2239. بوائق: الشر والظلم، والشئ المهلك.

[22]– أورد الإمام الغزالي في الإحياء عن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه و سلم: "لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه" عُزِيَ لابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف - الغزالي: محمد بن محمد أبو حامد، **إحياء علوم الدين** (بيروت: دار المعرفة، د. ت) ج3، ص109.

[23] شلبي، الدكتور أحمد، **مقارنة الأديان، الإسلام:** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ط8، 1988م). ص170.

[24] الغزالي، محمد، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، (القاهرة: مطبعة حسان، د. ت)، ص11.

موافقتها للحقائق العقلية والعلمية. ففي هذا المفهوم المنهي عنه يستخدم المتعصب الدّين كأداة للتضييق على الآخر والضغط عليه بل ولمحاربته أحياناً، باعتقاده أن الاختلاف في المعتقد يبرر القطيعة مع الآخر، وبالتالي فكل من خالفك في الدين فهو عدوك.

التعصب الديني المذموم هو الغلو في الدين:

يحمل مصطلح التعصب[25] معنى "الغلو في الدين" أو التطرف فيه. والغلو: هنا يعني مجاوزة الحد، بأن يزداد في الشيء، في حمده وذمه على ما يستحق ونحو ذلك. وهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد[26]. وهو أمر منهي عنه في الشريعة، لكونه لا يعني إلا نزعات بدائية[27]، لا تسمن ولا تغني من جوع، بل يقسّم الجماهير في القرى والمدائن إلى قطاعات متناحرة، وقبائل متنافرة، وركام من الأشياع يزيده وينقصه الوهم، وتصرفه قيادات همجية عفنة لا دين لها ولا دنيا إلى الهاوية. إنها عصبيات تقوم وتدوم مع قيام الجهل ودوامه[28]. ومن هنا حدد العلماء التعصب الديني المذموم الذي يعني الغلو والتطرف فيه، بأنه ذلك الفكر الذي ينبع من التقليد الأعمى وعدم العلم وإعطاء القدسية لآراء واجتهادات العلماء والمفكرين أو للمذاهب الفقهية والفكرية، دون إمعان النظر فيها. ويقول الشيخ القرضاوي في ذلك: "ومن التعصب المذموم: التعصب للمذاهب شأن غلاة المقلدين الذين يكادون يضفون على مذاهبهم العصمة وعلى أئمتهم القداسة، مع العلم المقطوع به أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ولا رسوله اتباع زيد أو عمر من الناس بأعيانهما، وإن بلغا في العلم والفضل ما بلغا. ولهذا أنكر كبار علماء الأمة ومحققيها هذا الغلو في التقليد، الذي كاد يشبه ما فعله أهل الكتاب من اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"[29]. فهذا النوع من الغلو هو المنهي عنه كما هو معروف في السنة النبوية، بل عدّه الرسول (ﷺ) ذلك علامةٌ من قرب علامات يوم القيامة، كما رواه الترمذي في صحيحه: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقولون من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[30]. وبما أن التطرف أنواع

---

[25] التعصب للحق جانب مستنير في مفهوم الإسلام ليس فيه تعد على حقوق الآخرين بقدر ما فيه تواصٍ بالحق والحث عليه والدفاع عنه، في سبيل نشر الفضيلة وتنوير البشرية بنور الإيمان وهو بهذا المفهوم مشاع عند المسلمين. بينما يراد بالتعصب في هذا البحث، التعصب السلبي الذي اشتهر كمصطلح قائم على الإنحياز القبلي والمذهبي والفكري الداعي لنصرة العصبة ظالمة كانت أو مظلومة، ولعل البحث يركز بشكل أساس على استخدام التعصب باسم الدين لترويع وقتل وترهيب الناس، بناءاً على مفاهيم فاسدة في أفكار الفئات المتعصبة، كما هو بين في عالمنا المشهود. انظر: الدكتور خالد كبير علال، **التعصب المذهبي في التاريخ مظاهره، آثاره، أسبابه، علاجه**(دار المحتسب، د.ت) ص3.

[26] انظر: ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم**. (القاهرة: دار الحديث، 1984م)، ج1، ص289.، وأيضا: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري. (الكويت: دار الدعوة، ذ986)، ج13، ص278.

[27] روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله- صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ج3، ص1034.

[28] أنظر: الشيخ محمد الغزالي، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، ص17.

[29] القرضاوي، الدكتور يوسف، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، (القاهرة: دار الصحوة، 1994م)، ص20.

[30] **صحيح البخاري**: ج6، ص2539.- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج4، ص481.

عديدة، يمكن أن نورد أمثلة لأحد أنواعه الأولى وهو التطرف في العبادات، التي قام الرسول بعلاجها. فالرسول الكريم ﷺ، عالج قضايا عبادية كثيرة من هذا الغلو في الدين، مثل:

- عبادة التبتل والإنقطاع – الرهط الثلاثة-: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[31]. فهنا استنكر المصطفى أفعال هؤلاء لما فيها من التطرف والغلو في الدين، كونهم خرجوا عن سنته وهديه[32]، وفهموا من الدين ما دعتهم أنفسهم إلى عمله بتعذيب أنفسهم وأبدانهم في حين أن الحياة كلها تسبح بحمد الله وتوفيقه.

- التكلف في أداء الشعائر: "عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال من هذه قالت فلانة تذكر من صلاتها قال مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه."[33] فهنا عالج المصطفى قضية التطرف في العبادات بأمر الاشتغال بما يطيق المرء المداومة عليه من الأعمال، والقيام به باستمرار دون إفراط وتفريط. يصدق ذلك في رده ﷺ على الأعرابي الذي جاء يسأل عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "(خمس صلوات في اليوم والليلة) فقال: هل علي غيرها؟ قال: (لا إلا أن تطوع). قال رسول الله ﷺ (وصيام رمضان). قال: هل علي غيره ؟ قال (لا إلا أن تطوع). قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة قال هل علي غيرها ؟ قال (لا إلا أن تطوع). قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص قال رسول الله ﷺ (أفلح إن صدق)" [34].

3. إهلاك النفس بالتنسك: ومثل الذي نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد في الظل ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. "عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم في الشمس فسأل عنه قالوا هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم قال مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه"[35] وقال ابن

---

[31] **صحيح البخاري**، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، ج5، ص1994م.

[32] وقال ابن حجر في الفتح معلقاً على هذا الأمر: "المراد من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح بذلك إلى طريق الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوى على القيام ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل. وقوله فليس مني إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعنى "فليس مني " أي على طريقتي ولا يلزم أن يخرج عن الملة وإن كان إعراضا وتنطعا يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعنى فليس مني ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر. .. كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلا وترك التنفل يفضي إلى إيثار البطالة وعدم النشاط إلى العبادة وخير الأمور الوسط، وفي قوله إني لأخشاكم لله مع ما انضم إليه إشارة إلى ذلك، وفيه أيضا إشارة إلى أن العلم بالله ومعرفة ما يجب من حقه أعظم قدرا من مجرد العبادة البدنية، والله أعلم" . انظر:ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، **فتح الباري** (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، ج11، ص593.

[33] **صحيح البخاري**، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومى على العمل، ج1، ص24. قال ﷺ: "سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل" ج5، ص2373.

[34] نفس المصدر، **كتاب الإيمان**، باب: الزكاة من الإسلام، ج1، ص25.

[35] **صحيح البخاري**، كتاب: الإيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية، ج6، ص2465- **سنن أبو داود**، في كتاب: الإيمان والنذور، باب: من راى عليه كفارة إذا كان في معصية، ج3، ص220.

حجر معلقاً على هذا الحديث: "وفيه أن كل شيء يتأذى به الإنسان ولو مآلاً، مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة، كالمشي حافياً، والجلوس في الشمس ليس هو من طاعة الله، فلا ينعقد به النذر"[36].

طرق علاج التعصب في السنة النبوية:

تعددت طرق علاج التطرف الديني وسبل مقاومته عند المصطفى ﷺ، حيث عالج بعض مظاهر التعصب عن طريق الزجر والنهي والوعد بالعقاب والويل الشديد على صاحبه وهو علاج فكري وعقدي، كما عالج بعض مظاهره عن طريق فتح باب الاجتهاد وإعطاء الحرية للتعبير عن الفكر والمبادئ، بينما عالج بعض التطرف الديني عن طريق وضع القوانين والنظم الاجتماعية التي من خلالها يتم التحكم بالمظاهر الشاذة.

الطريق الأول: التيسير ورفع الحرج

يشير العلماء إلى أنّ أسباب التعصب الديني متنوعة وناتجة عن عوامل مختلفة، منها الظن بأنه ملك الحقيقة النهائية التي يجب على الجميع اتباعها، ومنها الظن بأن الحق معه وأن الآخرين في ضلال مبين، مما يبرر له معاداتهم ومحاربتهم – سيما التكفيريين المعاصرين-، ومنها تفسير النصوص الدينية تفسيراً متشدداً يتعارض مع السمة العامة لشريعة مّا ومقاصدها الأساسية، ومنها التكلف في التعمق بمعاني التنزيل ما لم يكلف الشارع على فعله أحد، ومنها إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله تعالى عز وجل عبادة وترهباً، ومنها تحريم الطيبات التي أباحها الله، عز وجل- على وجه التعبد فهذا من الغلو[37]، ومنها أن يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي في مدحه سواءً كان فرداً أو جماعة، إلى درجة العصمة، فيجعله مصدر الحق، وكذلك أن يقف الإنسان من بعض الناس أفراداً أو جماعات موقف الذام الغالي، فيصم المسلم بالكفر والمروق من الدين. فمن خلال أفعاله وأقواله يعلمنا الرسول ﷺ أن أفضل طريقة لمعالجة أنواع التعصب هي، تربية الناس على التيسير ورفع المشقة عن الناس، وتعليم الناس أن الدين ما جاء ليجعل على الناس أدنى حرج، كما قال تعالى: [مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون(6)] (المائدة: 6) وفي قوله تعالى: [وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيم(78)] (الحج:87) وقال ﷺ لأ صحابه في الحديث الذي يرويه أبوهريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"[38] وتتابعت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما. كما روت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺلنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[39].

ولقد ظهر أيضاً هذا التيسير عملياً في أنواع العبادات إذ أبيح تأخير بعض العبادات إلى أوقات آخرى بسبب المشقة. بل إنّ الرسول ﷺ أقر إيقاف بعض العبادات دون إكمالها تيسيراً على صاحبها. روى عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال

---

[36] **فتح الباري**، مصدر سابق، ج11، ص590.

[37] إن الحياة كلها تعبد في منظور الإسلام والقرآن فلا حاجة لإجهاد النفس فوق الطاقة فالتركيبة الإنسانية تستلزم إشباع جانبي الوح والبدن وفي كلاهما تعبد إن أحسن المسلم القصد وسلمت نيته قال الله تعالى: [قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162)] سورة الأنعام.

[38]البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط، 1407 – 1987) كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، ج1، ص23.

[39] صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، ج6، ص1306.

لها ما شأنك قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال كل قال فإني صائم قال ما أنا بآكل حتى تأكل قال فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال نم فنام ثم ذهب يقوم فقال نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان قم الآن فصليا فقال له سلمان إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺصدق سلمان[40]. وهذا يعني التوسط في الحياة والمعيشة، إذ إن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه، من أهل ونفس وبدن، دون إفراط وتفريط، بل بتوسط.

فهنا نهي عن التعبد بالمشقات غير المعتادة فلا يصح التعبد لله بقصد المشقات، إذ ليس من التعبد تعذيب النفس بحرمانها من الشهوات المباحة أو إنزال العقوبة التي لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله، وإذا أراد المكلف بذلك خيراً فإن مراد الله مقدم، ومراده سبحانه وتعالى التيسير[41].

الطريق الثاني: تقوية الأخوة والألفة بين المجتمع المسلم

إنّ الرسول الكريم عالج قضية التعصب القبلي والعرقي التي هي من أشد أنواع العصبيات عن طريق التآخي وجعل الأخوة الدينية والمبدئية والفكرية تحل محلها. فقال تعالى: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10)] (الحجرات:10]. وجاءت السنة النبوية مفسرة ومبينة لذلك: " عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[42]. وجاءت أحاديث أخرى تؤكد أواصر الألفة عن طريق النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا"[43].

وقال الشيخ الغزالي معلقاً على أهمية الأخوة في الترابط بين المسلمين: "أما الأمر الثاني_أي صلة الأمة بعضها بالبعض الآخر- فقد أقامه الرسول ﷺ، على الإخاء الكامل، الإخاء الذي يمحى فيه كلمة (أنا) ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة ومصلحتها وآمالها. فلا يرى لنفسه كياناً دونها، ولا امتداداً إلا فيها. ومعنى هذا الإخاء أن تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية إلا للإسلام[44]. وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن. فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه... وقد جعل

---

[40] **صحيح البخاري**، كتاب: الصوم، باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم يكن عليه قضاء إذا كان أوفق له، ج2، ص694.

[41] الدكتور عبد الله بن وكيل الشيخ، **تأملات دعوية في السنة النبوية**، (الرياض: دار أشبيليا، للنشر والتوزيع، 1998م)، ص57.

[42] **صحيح البخاري**، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ج5، ص2238.- صحيح مسلم، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت) كتاب: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ج4، ص1999- وقال النووي في شرحه لهذا الحديث: قوله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم... إلى آخره" صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه. وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام. أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ) ج8، ص395.

[43] صحيح مسلم، ج4، ص1983.

[44] عَنْ أَبِي عُقْبَةَ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ أَهْلِ فَارِسَ، قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُحُدًا، فَضَرَبْتُ رَجُلاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقُلْتُ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلاَمُ الْفَارِسِيُّ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "فَهَلاَّ قُلْتَ خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الْغُلاَمُ الأَنْصَارِيُّ". **سنن أبي داود**، كتاب: الأدب، باب: في العصبية، ج4، ص332.

الرسول هذه الأخوة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر..."[45].

وقال الشيخ يوسف القرضاوي، معلقاً على أهمية الأخوة للدعوة ولبقاء الأمة المسلمة وديمومتها: "إنّ من أهم صفات رجل الدعوة استشعار عقد الأخوة في الله، الأخوة الحقة، أخوة من أجل نصرة دين الله، إنه العقد الذي يشعر فيه المسلم بعامة ورجل الدعوة بخاصة أنه ليس وحيداً ولا فرداً. وعليه فإن من أولى واجبات الداعية تجنب ما يعكر هذا الصفو، من هنات وهزات تورث نفرة القلوب ووحشة النفوس، يتجنب في الباب كثرة العتاب والمراء والجدل، وخاصة إذا شابه رائحة استعلاء الروح بتميز وظهور. والتعريض في العتاب مقدم على التصريح مع حفظ الغيبة والثبات على الوفاء وترك الكلف بعيداً عن الأنانية وضيق الأفق والتعلق بصغائر الأمور والانشغال بها"[46].

وفوق ذلك لقد سطرت الأخوة الإسلامية بين المهاجرين والأنصار إتحادا إسلاميا حيث انبنت أواصر الأخوة على التناصح والتكافل المعنوي والمادي، وتعدت ذلك إلى رابطة التوارث وإن كان مؤقتا فأبقى رابطة التناصح والتشاور المعنوي.

فالروابط الإيمانية والفكرية هي التي بنيت عليها العلاقات الاجتماعية، إذ إن الإخاء الصحيح هو أقوى ما يبعث في النفوس معاني التراحم والتعاطف والحب وإسداء المعروف. وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم: [وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(9) وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيم (10)] (الحشر :9-10) فالقرآن الكريم لم يتوقف عند هذا الحد أي عند جعل الأخوة الإيمانية أساس الترابط، بل حرص الإسلام على أن تصان هذه الأخوة من كل ما يكدرها كالتهكم والسخرية والازدراء والاستكبار، فجاء بعد الأية التي ذكرت الأخوة قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ اءمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون(11)] (الحجرات :11).

الطريق الثالث: فتح باب الاجتهاد لعلاج التعصب المذهبي

إنّ الشريعة الإسلامية قللت التعصب الفكري والمذهبي من خلال فتح باب الإجتهاد وعدم القبول بالتقليد الأعمى. ولقد تنبه علماء الأمة لهذا الأمر فكانوا يحذرون من التعصب لهم وتقليدهم تقليداً مطلقاً. ولهذا نقل عن إمام أبى حنيفة: "إني آخذ بكتاب الله اذا وجدته فإن لم أجده منه أخذت بسنة رسول الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت فى أيدي الثقات عن الثقات فاذا لم أجد فى كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ثم لا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب وعدد رجالاً قد

---

[45] الشيخ محمد الغزالي، **فقه السيرة**، (مصر: دار الكتب الحديثة، 1976)، ط7، ص191-192.

[46] **مجلة البحوث الإسلامية**، العدد 51، عام 1418هـ، ص216-217.

اجتهدوا فلى أن اجتهد كما اجتهدوا"[47]. وعن الإمام مالك قوله: "إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"[48]. وقال الإمام الشافعي: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"[49]، وقال الإمام أحمد: "رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة كله رأيي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار"[50].

ومن تمسك بكل ما ثبت في السنة، ولو خالف بعض أقوال الأئمة لا يكون مبايناً لمذهبهم، ولا خارجاً عن طريقتهم، بل هو متبع لهم جميعاً، ومتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وليس كذلك من ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم، بل هو بذلك عاصٍ لهم، ومخالف لأقوالهم المتقدمة، والله تعالى يقول: [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ] (النساء :65)[51] .

الطريق الرابع: التسامح والتعايش السلمي

ولقد حرص المصطفى – ﷺ، كل الحرص على معالجة التعصب الديني بشكل عملي يتصل بالعقيدة والفكر لإزالة العداء الناتج عن التعصب، لئلا يعتدي أحد من المسلمين على الآخرين، فربى أصحابه على منهجٍ يتسم بالاستقلالية الذاتية في العقيدة والفكر وحرية العقيدة والتفكير. ويمكن أن نستخلص النقاط التالية من المنهج النبوي لمعالجة التطرف الفكري والتعصب الديني المذموم:

- تقرير استقلالية المسلم في عقيدته وفكره وشخصيته ومعيشته مع توجيه الاهتمام إلى جوهر الإنسان ذاته من روح وعقل وخلق وفضيلة. فهنا وجه الرسول ﷺ الاهتمام بالاعتزاز بالذات والفكر والأخلاق الطيبة والمسؤولية الفردية والثبات على المبدأ ولو إنحرف الآخرون عن المنهج القويم[52]، من باب [وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (63)] . ومن سمات هذا المنهج أنه لا ينظر المسلم إلى نفسه نظرة دونية، ولا يأخذ خطوات اندفاعية انفعالية، بل يتربى على التوازن والتوسط في الأمور، وهو أمر يساهم في كبح التطرف والتعصب الأعمى، ويغزي شعور الفخر بالدين والتشبع بتعاليمه.

---

[47] آل تيمية: (بدأ بتصنيفها الجدّ : مجد الدين بن تيمية، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد : أحمد بن تيمية، **المسودة في أصول الفقه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: المدني، د.ت، د:ت)، ص302.

[48] الحافظ العراقي: عبد الرحيم بن الحسين، **المستخرج على المستدرك للحاكم**، تحقيق : محمد عبد المنعم رشاد (القاهرة: مكتبة السنة، 1410هـ) ص15.

[49] النووي، محيي الدين أبو زكريا، **المجموع شرح المهذب** (دمشق: إدارة الطباعة المنيرية، د. ت). ج1، ص63.

[50] كتاب: ابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، **جامع بيان العلم وفضله**، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي (مؤسسة الريان - دار ابن حزم، ط1، 1424-2003 هـ) ج2، ص290.

[51] محمد ناصر الدين الألباني، **أصل صفة صلاة** ﷺ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1427 هـ - 2006 م) ج1، ص32.

[52] عن الحسن، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال: "حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا " وينبغي أن لا يتكلم بحضرة من يشهد لخصمه بالزور، أو عند من إذا وضحت لديه الحجة دفعها، ولم يتمكن من إقامتها، فإنه لا يقدر على نصر الحق إلا مع الإنصاف، وترك التعنت والإجحاف" – انظر: الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي (السعودية: دار ابن الجوزي، سنة 1417هـ) ج1، ص365.

- حق المساواة في الإنسانية والحقوق المدنية والمعيشية وإلغاء الطبقية والفوارق العرقية والقومية. وبما أن المجتماعات البشرية التي سبقت الإسلام تعيش على الفوارق الطبقية والعصبية للشرف والعرق، والمفاضلة بين الغني والفقير، فإن الرسول الكريم ألغى تلك المفاهيم والقيم الوحشية اللا إنسانية كالطبقية والأنانية والأفكار العنصرية والشعوبية التي ما أنزل الله بها من سلطان قال ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ][53].
- حرية الفكر والعقيدة، وقد أطلق الإسلام عنان العقل من عقال ودعاه إلى التدبر، ولكل إنسان أن يعتنق ما يشاء وليس لأحد أن يحمله على ترك معتقده. فالآيات القرآنية تؤكد مراراً وتكراراً إلى حق تقرير المصير العقدي لكل فرد وإنسان، فلا أحد يملك حق الاعتداء على الآخرين ولا إكراههم على معتقد لا يريدونه، كما قال تعالى: [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256] (البقرة256) وهناك جملة من الآيات القرآنية التي تشير إلى أنه لو أراد الله أن يجعل الناس على عقيدة واحدة لفعل، ولكنه لم يرد ذلك بل شاء الله أن يكونوا مختلفين في العقيدة والفكر وبالتالي فإنّ التنوع في العقيدة والمبدأ لا يؤدي إلى العداوة والاعتداء على الآخرين. ومن تلك الآيات قوله تعالى: [وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)] (الأنعام: 35) وقوله: [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)] (هود: 118) ولذلك حث القرآن الكريم الرسول ﷺ، أن لا تذهب نفسه عليهم حسرات، قال تعالى: [أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(8)] (فاطر:8) ، قال تعالى: [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)] . إذ إن وظيفته ﷺ ليست السيطرة عليهم ولا أن يرغمهم على الإسلام قال تعالى: [فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ(21) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ(22) إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ(23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ(24) (الغاشية 21-24)، وجاءت هذه العبارة على سبيل الإنكار في بعض السور، كما في قوله تعالى: [وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (99)] (يونس: 99). وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه."[54] ومبدأ حرية العقيدة مبدأ طبقه المصطفى في حياته، حيث لم ينقل عنه أنه أجبر شخصاً على دخول الإسلام ولم ينسب إلى النبي ﷺ أنه حمل أحداً على اعتناق الإسلام، قال ابن القيم: "فلما بعث

---

[53] سنن أبي داودكتاب: الأدب، باب: فى التفاخر بالأحساب، ج4، ص331. لقد قال حديثه الشهير هذا ﷺ في أجمع ما يكون الناس في حجة الوداع وهو على ناقته يعظ المسلمين ويخطبم ويقرر لهم مبادئ الحياة الرائعة والمساواة العادلة والأخوة الصادقة، ويحذرهم من العودة إلى مساوئ الجاهلية المبنية على الفخر بالأنساب والتنابز والتكبر وهضم حقوق الناس.

[54] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق : سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م) ج1، ص682.

الله رسوله ﷺ استجاب له ولخلفائه بعده أكثر الأديان طوعاً واختياراً ولم يكره أحدا قط على الدين وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه سبحانه حيث يقول: [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...(256)](البقرة: 256) وهذا نفي في معنى النهي أي لا تكرهوا أحداً على الدين "[55].

وهو أمر دل على روح التسامح ودفع التعصب. وهذا واضح من المواثيق التي كتبها الرسول لأصحاب الديانات الأخرى، مثل نصارى نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم..."، وكتب لعامله في اليمن: "ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها"[56] وغير ذلك من المعاهدات والمواثيق التي تدل بوضوح على حرية الاعتقاد في ظل الإسلام ودولته. ويمكن أن نستعرض المواقف التي تمثل الحرية الدينية في عصره ﷺ بشكل صريح، كالآتي:

- عندما أسس الرسول الدولة الإسلامية الأولى في المدينة لم يتعرض لليهود المقيمين في المدينة بسوء بل وضع معاهدات معهم تكفل للجميع حرية العيش بسلام حتى نقض اليهود تلك المعاهدات.
- معاملة النبي لنصارى نجران لما قدموا المدينة، فإنه عليه السلام أحسن معاملتهم ورحب بهم، وقد صلوا في مسجده ﷺ إلى المشرق فلم ينكر النبي عليهم ذلك[57].
- معاملته ﷺ للمشركين وحثه المسلمين على البر والصلة مع غير المسلمين، وهذا واضح من قصة أسماء بنت الصديق حين استأذنت من المصطفى في أمر أمها التي جاءت إلى أسماء وهي راغبة منها شيئاً، فقالت أسماء أأصلها؟ قال نعم[58].
- أن أهل الكتاب الذين وفوا بعهدهم عاشوا في ظل دولة المصطفى آمنين مطمئنين، في المدينة وغير المدينة.

علمنا الرسول ﷺ ، أن الإختلاف في الدين لا يؤدي إلى القتال والعنف والفساد، أو أن يتعدى بعضنا على بعض، بل إن القرآن الكريم يعلمنا أن نقول للناس حسناً، قال تعالى: [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ (83) (البقرة: 83). إذ ليس من واجبنا الفصل بين العباد فيما يختلفون فيه، فالله هو الذي يحكم بينهم يوم القيامة. قال تعالى:[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (62)] (الحج: 62). أما في الدنيا فالعلاقات مبنية على تبادل المصالح وتوطيد الصلات البشرية وتحسين المعاملات. ويقول الدكتور أحمد شلبي معلقاً على هذا الأمر: "إنّ الإسلام يهتم اهتماماً

---

[55] محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت) ج1، ص12

[56] عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ) ج5، ص296.

[57] **نفس المصدر**، ج3، ص114.

[58] **صحيح البخاري**، كتاب: الأدب، باب: صلة الوالد المشرك، ج5، ص2230.

كبيراً بالمعاملة فيه، ومن القواعد التي وضعها الأصوليون أن حقوق الله مبنية على التوبة وحقوق الناس مبنية على المسامحة، فإذا قصر مسلم في حق من حقوق الله فإنّ التوبة تغفره وعفو الله قد يشمله، ولكن إيذاء الناس لا يغفر إلا إذا عفا الناس، فرد الحقوق شرط أساسي لقبول التوبة، وحسن المعاملة بكل ما تحتمله الكلمة من معنى أصل من أصول الإسلام، بل أصل مهم جداً فالإسلام ينظم علاقات الإنسان بالإنسان على أسس من الحب والعدالة مع ضرورة اتباع القيم الإسلامية في البيع والشراء والميراث والزواج والطلاق والهبة وغيرها، ومع اتباع آداب الإسلام في معاملة الناس ومع الإخلاص للعمل، والتضامن في آداب الواجب، والبعد عن إيذاء الناس، كل هذا وما يماثله أجزاء مهمة من الدين الإسلامي، ولا يكمل الدين بسواها"[59].

وعلى كل لا ينهى الإسلام عن صداقة غير المسلمين إلا الذين ناصبوا المسلمين العداوة، وقاتلوهم لأجل دينهم، ولا ينهى عن البر لغير المسلمين الذين لم يقاتلوا ولم يحاربوا ولم يعاونوا أحداً على المسلمين، وفي هذا الأمر دعوة صريحة لإبراز الإسلام للبشرية وفق منهج رباني بعيدا عن التنطع والتشدق، والكراهية، التي لا تمت للإسلام بصلة حتى يكون هاديا ودليلا تستقي منه البشرية فطرتها باعتناقها لتعاليمه راضية مطيعة غير مكرهة ولا مغصوبة.

ومع هذا الهدف السامي فإنّ الاختلاف في الدين لا يحول دون التعامل مع الآخر والتعايش معه بالتي هي أحسن. وبهذا المبدأ أحل الله للمسلمين أكل طعام غير المسلمين والزواج من المحصنات من اليهود والنصارى، قال تعالى: [الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ.....(5)] (المائدة: 5).

وهذا يعني حسن المعاملة والتعايش معهم. وهذا ما طبقه الرسول ﷺ في معاملاته مع غير المسلمين، إذ لم ينقل عنه أنه زجر أو أساء معاملة شخص يخالفه في الدين، بل إنّ أعداءه ناهيك عن أصحابه اتفقوا على كرمه وحسن تعامله مع الآخر ولو كانوا من أعدائه، وخير مثال لذلك، أنه توفي ودرعه مرهون عند يهودي في صاع من شعير في بعض الروايات. فالناظر إلى الواقع الديمغرافي في المجتمع الإسلامي في العهد المدني في عهد الرسول ﷺ يدرك مدى اهتمام الإسلام بالتعايش الديني السلمي، إذ إن هذه الدولة احتوت أنواعاً وأجناساً من البشر من العرب واليهود وغيرهم وانتماءات دينية وفكرية، لكن هذا لم يمنع الرسول أن يعقد معهم معاهدة من خلالها يتم التواصل والتعامل.

فالرسول الكريم علمنا أنّ الفوارق الدينية يمكن تدارسها وفهمها عن طريق الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن دون تعصب[60]، أومسبة، أو بذاءة أو سخرية..الخ. ومع أن الرسول ﷺ أمر أتباعه بالمجادلة بالتي هي أحسن مع الآخرين ودعوتهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنه في المقابل حرم الاستهزاء والتهكم بمعتقدات ومقدسات الآخرين مهما كان نوعها من أصنام وتماثيل وغيرها، لئلا يؤدي ذلك إلى نتيجة عكسية، وهي أن يسب غير المسلم الله أو أن يتهكم

---

[59] شلبي، الدكتور أحمد، **مقارنة الأديان، الإسلام:** (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ط8، 1988م). ص170.

[60] قال تعالى: [..وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ(125)] سورة النحل. وقال تعالى: [وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...(46)] سورة العنكبوت. وفي قصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه، قال تعالى: [قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32)] سورة هود.

بمحرمات المسلمين ومقدساتهم. كما قال تعالى: [وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ] (الانعام :108) فالحوار الديني باعتباره وسيلة دعوية مطلوب في الإسلام، وهو أمر فعله المصطفى ﷺ، مع نصارى نجران وغيرهم، وفعله الأنبياء السابقون مع أقوامهم، كنبي الله إبراهيم مع النمرود، قال تعالى: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(258)] (البقرة 258) ونوحٌ مع قومه حتى قالوا: [قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(32)] (هود: 32) وشعيباً مع قومه حتى قالوا: [قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ(91)] (هود:91)، ونبي الله موسى عليه السلام مع فرعون حتى توعده فرعون في نهاية الحوار بالسجن والعقاب. قال تعالى:[قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(18) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(19) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(20) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ(21) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ(22) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (24) ...(28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ(29)] (الشعراء (18 -29)..

فمن خلال هذا المبدأ يربي الإسلام أبناءه على العدل وعدم التجاوز في حق الآخرين حتى ولوا تجاوزوا هم الحدود، وأن لا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، بل العدل مطلوب في كل الأوقات والأحوال.

الخاتمة:

وفي مسك الختام يمكننا أن نسجل النقاط التالية:

- إنّ مفهوم التعصب الدَّيني يقتصر على الاعتداء، وهو تجاوز الحدود والمقاييس الدينية في التعامل مع الناس، والتفكير في القضايا الدينية والشرعية. ويحمل التعصب الديني مفهوم العنف والتطرف الذي يشعل نار الضغينة والكراهية في قلب صاحبه، والتي تنتهي في أغلب الأحيان إلى الهلاك والدمار والفساد. وأيضاً يحمل التعصب الديني بهذا المعنى مفهوماً سلبياً؛ حيث يؤدي إلى حرمان ملايين من الناس من حقوقهم الشرعية في التعبير والمعيشة والاكتساب والامتلاك.

- هناك فرق بين التعصب الديني فتعصب مذموم، وتعصب محمود يعني الالتزام بالدين والتمسك به، إذ الالتزام بالدين لا يعني إلحاق الضرر بالآخر، بل يعني أن يظل الإنسان متمسكاً بدينه مع احترامه للآخر الذي يخالفه في العقيدة. وهذا ما ربى الإسلام عليه أتباعه، حيث إن المطلوب منا أولاً هو وجوب القيام لله تعالى بإخلاص، ثم وجوب الإلتزام العدل في معاملة الناس قاطبة سواء أعداء أو أصدقاء، إذ إن كفر الكافر لا يمنع من العدل في معاملته. ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم، أتباعه عن العصبية القومية والحزبية والعرقية الذميمة، وعلمهم أن يزنوا الناس بميزان التقوى والأخلاق الحميدة، بتعقل وتدبر وإعطاء فرصة للآخر لتقديم ما لديه من قول ودليل، وعدم التسرع في الحكم عليه.

- لقد تعددت طرق علاج التطرف الديني وسبل مقاومته عند المصطفى ﷺ، حيث عالج بعض مظاهرالتعصب عن طريق الزجر والنهي والوعد بالعقاب والويل الشديد على صاحبه وهو علاج فكري وعقدي، كما عالج بعض مظاهره عن طرق فتح باب الإجتهاد وإعطاء الحرية للتعبير عن الفكر والمبادئ، بينما عالج بعض التطرف الديني عن طريق وضع القوانين والنظم الاجتماعية التي من خلالها يتم التحكم بالمظاهر الشاذة في المجتمع.

المصادر والمراجع

1-إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية (القاهرة: دار الدعوة، د.ت).

2-ابن الأثير، المبارك بن محمد الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (بيروت: دار الفكر، 1399هـ - 1979م).

3-البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - **جامعة دمشق** (اليمامة: بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407 – 1987م).

4-الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) .

5-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم**. (القاهرة: دار الحديث، 1984م).

6-آل تيمية: (بدأ بتصنيفها الجدّ : مجد الدين بن تيمية، وأضاف إليها الأب: عبد الحليم بن تيمية، ثم أكملها الابن الحفيد : أحمد بن تيمية، **المسودة في أصول الفقه**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: المدني، د.ت، د:ت).

7-الجرجاني: علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق : إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ).

8-الحافظ العراقي: عبد الرحيم بن الحسين، **المستخرج على المستدرك للحاكم**، تحقيق: محمد عبد المنعم رشاد (القاهرة: مكتبة السنة، 1410هـ).

9-ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، **فتح البارئ** (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ).

10-حسن حنفي، **أضواء على التعصب**، (بيروت: دار أمواج، د. ت).

11-خالد كبير علال، **التعصب المذهبي في التاريخ مظاهره**، آثاره، أسبابه، علاجه (دار المحتسب، د. ت).

12-الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **الفقيه والمتفقه**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي (السعودية: دار ابن الجوزي، سنة 1417هـ) .

13-أبو داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(بيروت: صيدا: المكتبة العصرية، د.ت، د.ط) .

14-الزحيلي، الأستاذ الدكتور وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. بيروت: دار الفكر المعاصر، ط2، 1998).

15-السيد الفراتي: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** (حلب: المطبعة العصرية، د.ت).

16-سيد قطب إبراهيم، **فى ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، د.ت).

17-الشبلي، علي بن عبد العزيز، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف (د.ت، د.ط).

18-شلبي، الدكتور أحمد، **مقارنة الأديان**، الإسلام: (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. ط8، 1988م).

19-ابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، **جامع بيان العلم وفضله**، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي (مؤسسة الريان - دار ابن حزم، ط1، 1424-2003 هـ).

20-عبد الله بن وكيل الشيخ، **تأملات دعوية في السنة النبوية**، (الرياض: دار أشبيليا، للنشر والتوزيع، 1998م).

21-عبد لله النديم، مجلة الأستاذ، **جريدةٌ علميةٌ تهذيبيةٌ فكاهيةٌ** (مصر: دار كتبخانة للنشر والتوزيع، ط1، -طبق الأصل-، 1985 م، صدرت في 24 أغسطس عام 1892 م، العدد39، 23-5- 1893م).

22-عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، **السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (بيروت: دار الجيل، ط1، 1411هـ).

23-الغزالي، محمد، **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**، (القاهرة: مطبعة حسان، د. ت).

24-الغزالي، محمد، **فقه السيرة**، (مصر: دار الكتب الحديثة، 1976م).

25-الغزالي: محمد بن محمد أبو حامد، **إحياء علوم الدين** (بيروت: دار االمعرفة، د. ت).

26-القرضاوي، الدكتور يوسف، **الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم**، (القاهرة: دار الصحوة، 1994).

27-ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد (بيروت: دار الجيل، 1973).

28-ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت).

29-ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق : سامي بن محمد سلامة (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999 م).

30-مجلة **البحوث الإسلامية**، العدد 51، عام 1418هـ).

31-محمد بن إسماعيل الصنعاني، **إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد**، تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد (الكويت: الدار السلفية، 1405هـ).

32-محمد ناصر الدين الألباني، **أصل صفة صلاة النبي** ﷺ (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1427 هـ - 2006 م).

33-مسلم بن الحسين بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت، د.ط).

34-ابن منظور: محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط1، د. ت).

35-النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).

36-النووي، محيي الدين أبو زكريا، **المجموع شرح المهذب**. (دمشق: إدارة الطباعة المنيرية، د. ت).

37-الهروي: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، تحقيق: د. محمد جبر الألفي (الكويت: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 1399هـ).